فضل البكاء من خشيته تعالى

لقد خلق الله الإنسان وزوَّده بمشاعر وأحاسيس جمَّة فمن يبكي عندما يتذكَّر حبيباً فارقه، أو عندما يشعر بألم مصيبة قد نزلت به، أو يبكي عند نزول خبر سعيد يشعر بلذته من شدة فرحه، ومن يبكي بين يدي سيده تذللاً وخشوعاً وانكساراً فهذا البكاء يكون له راحة في الدنيا وسعادة في الآخرة.

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن مؤمن تخرُجُ من عينه دمعةٌ وإن كانت مثلَ رأسِ الذبابِ من خشيةِ اللهِ تعالى ثم تصيبُ شيئاً من حرِّ وجهِه إلا حرمَهُ اللهُ على النار**»(١).

شرح الحديث:

ما من مؤمن تخرج من عينه دمعة وكانت هذه الدمعة حباً لله أو خشوعاً له أو اعترافاً بذنب وندم وتوبة من هذا الذنب إلا كانت هذه الدمعة بمثابة شاهد يوم القيامة، تنادي هذه الدمعة بصوت ملهوف يوم الشدة يوم الخوف والفزع الأكبر، وهذا اليوم لا يتكلم إلا من أذن له.

لسان حال الدمعة يقول: إلٰهي أسألك رغم صغري وضعفي أن تشفّع صاحبي بي وتقيه من النار.

الدليل القرآني

مدح الله تعالى البكَّائين من خشيته، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا

(١) أخرجه الطبراني والبيهقي.

فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المَائدة، الآية: ٨٣] .

البكاء والسجود دليل العبودية والخوف من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريَم، الآية: ٥٨] .

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه سجدوا خضوعاً واستكانة حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة.

والبكيّ: جمع باك، فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ها هنا اقتداءً بهم واتباعاً لمنوالهم.

بشارة من سيدنا جبريل عليه السلام

قال أبو حازم: نزل جبريل على الرسول ﷺ وعنده رجل يبكي.

فقال له: من هذا؟

قال: **«هذا فلان؟»**

فقال جبريل: إنّا نزن أعمال بني آدم كلّها إلا البكاء فإن الله ليطفىء بالدمعة الواحدة بحوراً من جهنم(١).

قال الإمام أبو سليمان الداراني: ما تغرغرت عين بدموعها إلا لم يعذب وجه صاحبها يوم القيامة، فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحاراً من النيران. ولو أن رجلاً بكى من أمة ما عُذبت تلك الأمة(٢).

دموع تحمي صاحبها من النار

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مؤمن تخرج من عينه دمعة وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى ثم تصيب**

(١) تفسير القرطبي.
(٢) إحياء علوم الدين.

شيئاً من حر وجهه إلا حرمه الله على النار»[١].

إذاً لذلك كان محمد بن المنكدر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول: بلغني أن النار لا تأكل موضعاً مسته الدموع[٢].

البكاء نور لصاحبه

قال المفضل بن مهلهل: بلغني أن العبد إذا بكى من خشية الله ملئت جوارحه نوراً فاستبشرت ببكائه وتداعت بعضها بعضاً ما هذا النور؟

ويقال لها: هذا غشيكم من نور البكاء.

أعيني هلا تبكيان على ذنبي تناثر عمري من يدي ولا أدري

عن جعفر بن سليمان قال: بكى ثابت البناني حتى كادت عينه تذهب فجاءوا برجل يعالجها، فقال: أعالجها على أن تطيعني؟

قال: وأي شيء؟

قال: على أن لا تبكي.

قال: فما خيرهما إن لم تبكيا، وأبى أن يتعالج[٣].

بكاء داود عليه السلام

كان كعب الأحبار رضي الله عنه يقول: إن العبد ليبكي حتى يرسل له الله عز وجل ملكاً فيمسح عينيه بجناحيه، وحينئذٍ يبكي العبد من خشية الله تعالى.

وكان مجاهد رحمه الله يقول: بكى داود عليه السلام أربعين يوماً لا يرفع رأسه من السجود، حتى نبت البقل من دموعه وغطى رأسه حياء من الله عز وجل.

فنودي: يا داود أظمآن فتسقى أم جائع فتطعم أم عريان فتكسى؟

---

(١) أخرجه الطبراني والبيهقي.
(٢) الرسول يبكي في الشعب.
(٣) الحلية صفوة الصفوة.

قال: لا ولكن خطيئتي أثنت ظهري.

قال: فلم يرجع إليه بشيء.

فازداد بكاءً فكان لا يسمع إلا صدى الأنين فعند ذلك غفر له.

قال وهب بن منبه رحمه الله: كان داود عليه السلام قبل وقوعه في الخطيئة يقول: اللهم لا تغفر لمن عصاك غيرةً لجنان الحق عز وجل، فلما وقع في الخطيئة صار يقول: اللهم اغفر لكل خطَّاء حتى تغفر لعبدك داود معهم.

النبي ﷺ يبكي أمام آيات القرآن

روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا القرآن نزل بحزن فإن قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن ليس منا**»(١).

والبكاء عند قراءة القرآن والاستماع إليه صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين، لقوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسرَاء، الآية: ١٠٩].

الرسول يبكي لأجل أمته

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اقرأ عليَّ**» قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟

قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النِّساء، الآية: ٤١].

قال: «**أمسك**» فإذا عيناه تزرفان.(٢)

وفي رواية أخرى: بكى رسول الله ﷺ حتى اخضلت وجنتاه، فقال:

---

(١) رواه ابن ماجه، وقال العراقي: إسناده جيد.

(٢) متفق عليه.

«يا رب هذا على من أنا بين ظهرانيهم فكيف من لم أرهم».

شرح الحديث: الرسول يبكي لأجل أمته:

عن عبد الله بن مسعود: قال لي رسول الله ﷺ: **«اقرأ عليَّ...»**.

فقال: **«يا رب هذا على من أنا بين ظهرانيهم فكيف من لم أرهم»**.

● **معناه**: أن النبي الكريم أدى الأمانة ونصح الأمة وأوصل السلام بين عباد الله ﷻ لقوله ﷺ: **«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»** الرسول ذو الأخلاق العظيمة يشهد يوم القيامة أمام أحكم الحاكمين بأمته ويشفع لأهل الصغائر والكبائر من أمته لمن يعرفهم ورآهم أو صلى عليه أو سلّم عليه.

روى ابن أبي داود عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حجة الوداع يقول:

«إن الله تعالى قد غفر لكم ذنوبكم عند الاستغفار فمن استغفر بنية صادقة غفر له، ومن قال لا إله إلا الله رجح ميزانه ومن صلى عليَّ كنت شفيعه يوم القيامة»[1].

ولكن الرسول ﷺ يبكي على من خالف سنته من بعده ويكون عليهم شهيداً يوم القيامة لأنه يعرفهم، وينادي يوم القيامة للشفاعة فتسرع أمته فتقف الملائكة على فئة تمنعهم من أن يشربوا من الحوض الشريف فيسألهم الرسول ﷺ أن يدعوهم، فيقولون: لو تعلم يا رسول الله كم غيروا وبدلوا من بعدك.

فيقول: **«سحقاً، سحقاً لا تدعوهم يشربون من الحوض»**.

الصالحون يبكون عند ذكر النار والموت

كان عمرو بن عتبة بن فرقد يخرج على فرس ليلاً فيقف على القبور

(١) أخرجه الحسن بن أحمد بإخراج جيد.

فيقول: يا أهل القبور طويت الصحف ورفعت الأعمال، ثم يبكي، ثم يصف قدميه يصلي حتى يصبح فيرجع فيشهد صلاح الصبح.

قال عبد الرحمٰن بن المهدي: بات سفيان عندي فلما اشتد به ألم الموت جعل يبكي.

فقال له رجل: يا أبا عبد الله أراك كثير الذنوب؟

فرفع شيئاً من الأرض فقال: والله لذنوبي أهون عندي من ذا، إني أخاف أن أسلب الإيمان قبل أن أموت[١].

النساء يبكون من خشية الله تعالى

كانت شعوانة العابدة ـ رحمها الله تعالى ـ تنوح كل ليلة وتبكي إلى الصباح، فدخل عليها جماعة يوماً فقالوا لها: ارفقي بنفسك.

فقالت: والله لقد وددت أن أبكي الدم فضلاً عن الدموع حتى لا يبقى من جسدي قطرة من دم.

فكانت تقول: اللهم اغفر لكل من تعرض لمعصيتك بعد معرفتك.

وقالت مرة: اللهم بحبك لي إلا غفرت لي.

فقالوا لها: ومن أين عرفت أنه يحبك؟

فقالت: لولا محبته لي ما أقامني بين يديه في الظلام والناس نيام.

وقد كانت معاذة العابدة ـ رحمها الله تعالى ـ تحيي الليل كله بالصلاة فإذا غلب عليها النوم قامت فجالت في الدار وهي تقول: يا نفس النوم أمامك في القبر إما في سرور وفرح وإما في عذاب وحسرة[٢].

---

(١) الرسول يبكي، سعد يوسف أبو عزيز.
(٢) تنبيه المغترين.

البكاء دواء

كانت عفيرة العابدة ـ رحمها الله تعالى ـ لا تمل من البكاء فقيل لها: أما تملين وتتعبين من كثرة البكاء؟

فقالت: كيف يمل إنسان من دوائه وشفائه. وقد بكت بردة العابدة ـ رحمها الله تعالى ـ حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك.

فقالت: لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم إن هذا البكاء كاللعب.

وقد كانت رملة العابدة ـ رحمها الله ـ تكثر الصوم حتى اسود جلدها وبكت حتى عميت وصلت حتى أُقعدت.

قال إبراهيم الخواص رَحِمَهُ اللَّهُ: صليت مع رملة ليلة فلما كان السحر سمعتها تقول: يا ليتني لم أخلق، ثم تبكي[١].

بكاءه ﷺ عند فراق الأحبة

عن جابر بن عبد الله قال: أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمٰن بن عوف فانطلق إلى ابنه إبراهيم فوجده يجود بنفسه ـ أي يعالج سكرات الموت ـ فأخذه النبي ﷺ فوضعه في حجره فبكى.

فقال له: أتبكي! أوَ لم تكن نهيت عن البكاء؟

قال: «**لا ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند مصيبة خمش الوجه وشق الجيوب ورنة الشيطان**»[٢].

وفي رواية أخرى:

فقال: «**يا ابن عوف! إنها الرحمة، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»[٣].

---

(١) تنبيه المغترين.
(٢) الترمذي، صحيح حسن.
(٣) في الصحيحين.

بكاءه ﷺ عند فراق أهل بيته

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: رأيت النبي ﷺ جالساً على قبر السيدة أم كلثوم وعيناه تدمعان، وقال رسول الله ﷺ: «**هل منكم رجل لم يقارن الليلة**» ـ أي لم يجامع أهله تلك الليلة ـ فقال أبو طلحة: أنا.

قال: «**انزل**».

قال: فنزل في قبرها[١].

بكاءه ﷺ على أصحابه

● بكاءه ﷺ عند وفاة عثمان بن مظعون رضي الله عنه:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ دخل على عثمان بن مظعون وهو ميت، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى حتى رأيت الدموع تسيل على وجنتيه[٢].

● بكاءه ﷺ على جعفر رضي الله عنه:

في غزوة مؤتة استشهد سيدنا جعفر وفي هذه اللحظات كان النبي ﷺ مع أصحابه.

وفيما يرويه لنا أنس بن مالك رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**أخذ الراية زيد بن حارثة، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذها خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح له**».

فحزن النبي صلوات الله عليه على مصرع قواده الثلاثة أشد الحزن، وانطلق إلى بيت ابن عمه جعفر بن أبي طالب ووجد زوجته أسماء تتأهب لاستقبال زوجها الغائب، فهي قد عجنت عجينها وغسَّلت أبناءها وألبستهم.

قال أسماء: فلما أقبل علينا رسول الله ﷺ رأيت الحزن على وجهه

---

(١) صحيح رواه البخاري.
(٢) الترمذيس صحيح حسن.

الكريم فسرت المخاوف في نفسي. فحيَّا وقال: «**ائتني بأولاد جعفر**» فدعوتهم له، فهبوا نحوه فرحين مزغردين وأخذوا يتزاحمون عليه كلٌّ يريد أن يستأثر به، فأكب عليهم وجعل يقبلهم وعيناه تذرفان من الدمع.

فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: «**نعم لقد استشهدوا هذا اليوم**».

عند ذلك غاضت البسمة من وجوه الصغار لما سمعوا أمهم تبكي وتنشج وجمدوا في أماكنهم كأن على رؤوسهم الطير.

أما رسول الله ﷺ فمضى وهو يكفكفُ عبراته ودموعه وهو يقول:

«**اللهم اخلف جعفراً في ولده، اللهم اخلف جعفراً في أهله**».

ثم قال: «**لقد رأيت جعفراً في الجنة له جناحان مضرجان بالدماء مصبوغ القوادم**»[١].

وفي رواية أخرى قال: «**مر بي جعفر الليلة في ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين**[٢] **بالدم أبيض الفؤاد**».

أنواع البكاء

١ ـ بكاء الشوق: بكى سيدنا شعيب حتى ذهب بصره، ثم رد إليه بصره فبكى حتى ذهب بصره ثلاث مرات فأوصى الله تعالى إليه:

أن يا شعيب إن كان بكاؤك من مخافة النار فقد أمنتك من النار.

وإن كان بكاؤك من أجل الجنة فقد أوجبتها لك.

فقال: لا يا رب ولكن من الشوق إلى رؤيتك.

---

(١) صور من حياة الصحابة.

(٢) رواه الحاكم وصححه، وأقره الذهبي ولفظه.

فأوصى الله إليه: أن يا شعيب حق لمن أرادني أن يبكي من شوقي إنه ليس لهذا الداء دواء غير لقائي. ولهذا أخَدَمَك كليمي موسى عشر سنين[١].

٢ ـ بكاء الخوف والخشية: روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: لن يتقرب إليّ المتقربون بمثل البكاء من خشيتي.

وقالت سلمة بنت خالد المخزومي رحمها الله: كانت امرأة من الشام أتت إلى بيت الله الحرام يقال لها حزينة، أبداً تبكي من غلبة الشوق وكلما نظرت إلى باب الكعبة تقول: بيت ربي بيت ربي.

ففتحت باب الكعبة يوماً من الأيام فرأت فيها طائفتين يبكون ويقولون: مليكنا وقرة أعيننا طال شوقنا متى تكون ملاقاتنا؟

فسمعت تلك المقالة فصاحت صيحة وخرت مغشياً عليها، ولم تزل تضطرب حتى ماتت[٢].

٣ ـ بكاء المحبة: حكي أن رابعة كانت تمر يوماً في بعض طرق البصرة، فقطرت عليها قطرة من الميزراب فسألت عنها فقيل لها إنها من بكاء الحسن.

قالت: قولوا للحسن لو ازددت بالدموع حتى تصل للعرش محبة له لكان قليلاً، واعلم أن البكاء بكاء العين وبكاء القلب وبكاء السر، فأما بكاء العين فهو لأهل المعرفة من المنيبين ـ أي التائبين.

وأما بكاء القلب فهو لأهل المعرفة من المريدين

وأما بكاء السر فهو لأهل المعرفة من المحبين.

٤ ـ بكاء الحزن: بكاؤه صلى الله عليه وسلم عند ذكر الحساب: عن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيناه يضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر:

---

(١) حالة أهل الحقيقة مع الله.

(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله.

ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ فقال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي**».

قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته.

قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء.

قال: ربي فليحمل عني من أوزاري.

قال: ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: «**إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم**».

فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك وانظر في الجنان.

فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟

قال: قال هذا لمن أعطى ثمنه.

قال: رب ومن يملك ثمنه؟

قال: أنت تملكه.

قال: ماذا يا رب؟

قال: تعفو عن أخيك.

قال: يا رب إني قد عفوت عنه.

قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فادخلا الجنة.

ثم قال رسول الله ﷺ: «**واتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة**»[1].

الحزن لا يدعه ينام

عن عبد الرحمٰن بن عجلان قال: بتُّ عند الربيع بن خيثم ذات ليلة

(١) رواه أبو يعلى في مسنده تفسير ابن كثير.

فقام يصلي فمر بهذه الآية ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الجَاثِيَة، الآية: ٢١] . فمكث ليلة حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد.

وكانت ابنة الربيع بن الخيثم تقول له: يا أبتِ ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟

فقال لها: يا ابنتي إن النار لا تدع أباك أن ينام[١].

رغم كثرة صلاته يبكي

كان مسلم بن يسار رحمه الله يقول:

ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله ﷻ، وكان يدخل الكعبة فيصلي ركعتين بين العمودين المقدمين ويسجد ويبكي حتى يبل المرمر، ويقول: ربي اغفر لي ذنوبي وما قدمته يداي، متى ألقاك وأنت راضٍ عني.

وكانت امرأة مسروق ـ رحمها الله تعالى ـ تقول: والله يبكي رغم كثرة صلاته، وما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام، وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمةً عليه وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً، ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف كما تزحف البعير.

من شعر الباكين

كان الإمام الشيرازي إذا جاء الليل يقوم يناجي رب العالمين بالصلاة والقرآن والذكر وبأبياتٍ رقيقة من نظمه:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا ... وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد
قلت يا عدتي في كل نائبة ... ومن عليه لكشف الضر أعتمد
أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ... ما لي على حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل معترفاً ... إليك يا خير من مدت إليه يدي

(١) الرسول يبكي، سعد يوسف أبو عزيز.

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ البكاء من خشية الله ﷻ دليل حضور القلب مع مولاه.

٢ ـ البكاء من خشية الله ﷻ يكون غسل القلب من صفاته الذميمة، ويقولون: لا تدمع العين إلا بعد أن يأتي ملك بأمر الله تعالى فيمسح بجناحه على قلب الخاشع فيهتز القلب طرباً بلذة ذكر المولى فتدمع العين.

٣ ـ هذه الدموع بمثابة شاهد وشفيع يوم القيامة.

(اللهم ارزقني قلباً خاشعاً ولساناً ذاكراً وعينان تذرفان من خشيتك).

obeikandl.com